بل الواجب أن تكون بالعربية*

نشرت جريدة الجزيرة في عددها رقم ٩٨١٣ وتاريخ ٢٩/ ٤/ ١٤٢٠ ص ١٠ ملخصاً لبحث أعده الدكتور محمد بن حسين الحبوبي الأستاذ المشارك بقسم هندسة النظم في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بعنوان «تغيير لوحات المركبات بالمملكة خطوة عملية ولكن يجب استخدام الإنجليزية لهذه الأسباب" . . . أشار فيه إلى أهمية التغيير الذي حدث في لوحات السيارات في المملكة، ووصفه بأنه إنجاز ذو دلالة علمية وعملية رائعة . . ولكنه على الرغم من اعتزازه باللغة العربية ـ كما يقول ـ فإنه يرى أن استعمال الحروف العربية، والأرقام العربية الراهنة فيه الكثير من الصعوبة، وخلص البحث إلى أهمية أن تكون اللوحات بالحروف الإنجليزية (كذا) كما يرى الباحث استخدام الأرقام الإنجليزية (كذا)، لأن هذه الأرقام عربية الأصل.

ويمكن تلخيص تحفظه على استخدام الحروف العربية والأرقام العربية في النقاط الآتية:

١ـ التشابه الموجود بين بعض الحروف العربية، كما في الباء والتاء، والثاء والنون، والجيم والحاء والخاء، والراء والزاي،

والعين والغين، والفاء والقاف . . ويرى في استعمال الحروف اللاتينية ميزة في عدم التشابه. إذ أننا إذا أخذنا من الحروف العربية صورة واحدة فإننا بذلك نحصل على (١٥) صورة لحروف لا تتشابه، وهذا العدد لا يكفي كما ـ كما يقول ـ لعدد الرموز التي تتطلبها أعداد السيارات المتوقعة لعام ١٤٣٣ هـ، وهي حسب تقديره تتطلب (١٩) صورة.

٢ـ والأمر الثاني من النقد الموجه للحروف العربية أنها غنية بالمعاني (على غرار اللغات الأخرى) فيمكن من اجتماع ثلاثة حروف عربية التعبير عن بعض المعاني غير المناسبة.

٣ـ أن بعض المواطنين قد يسافر خارج المملكة لدول غير ناطقة بالعربية، ويواجه مشكلة عدم معرفة رجال الجمارك الأجانب اللغة العربية.

٤ـ وجود جالية كبيرة في المملكة لا تنطق اللغة العربية ولا تعرفها، مقيمة في المملكة، وفي استعمال الحروف اللاتينية تسهيل لهذه الجالية. كما أن كثيراً من الحجاج والمعتمرين لا يحسنون العربية.

ومع تقديري لاجتهاد أخي الدكتور الحبوبي. فإن القارئ لملخص بحثه يلحظ أنه حاول حلَّ المسألة حلاً عملياً ونفعياً (براجماتياً)، دون النظر إلى ما يرافق هذا البحث من ملابسات

اجتماعية ونفسية وثقافية، يكون أثرها بالغاً، وتأثيرها خطيراً. إذ أن هنالك مبادئ وأسساً تقوم عليها حضارات الأمم، وتستند إليها في مسيرتها في الحياة، ومن هذه المبادئ والأسس الحفاظ على اللغة الوطنية للبلاد التي تتحدث بها . . لأن اللغة تمثل ملمحاً مهماً من ملامح الشخصية . . وهي سياج حضارة الأمة وثقافتها من غزو الثقافات الأخرى. ولهذا فإن التخلي عن اللغة في أي موقع من مواقع الحياة، وترك هذا الموقع للغة الأجنبية، أو لرموز لغة من خارج الحدود، يؤدي إلى نقص في السيادة، و إزراء بالكرامة، وتدليل على القصور والعجز للأمة التي لم تستطع جعل لغتها تواكب مستجدات العصر.

إن نقص أربعة رموز في حروفنا العربية ـ جدلا ـ لا يجب أن يحجب عنا فوائد كبيرة ورائعة، تنتج من إبقاء رموز لغتنا على السيارات المستعملة في بلادنا.

فهذا المنطق الذي ذهب إليه الدكتور الحبوبي هو المنطق نفسه الذي ذهب إليه أعداء العربية منذ بداية هذا القرن، مشككين في قدرة هذه اللغة على استيعاب الجديد، ومشيرين إلى أهمية اللحاق بالأمم الأخرى بتبني أبجديتها وأرقامها.

ولكن الأمة العربية ثبتت على استعمال لغتها، على رغم المشككين من أعداء الحضارة الإسلامية، ودعاة تحطيم هذه الأمة

وتمزيقها. وها هي العربية تحقق انتصارات جيدة في حقول الحاسب الآلي بفضل جهود المخلصين من أبناء هذه الأمة، الذين أفرغوا الجهد والمال من أجل تطوير اللغة لتواكب مستجدات الحاسب الآلي.

القضية يا أخي ليست قضية (استفادة) أو قضية (سهولة وصعوبة)، القضية لها مساس بالهوية العربية، فإذا كنا سنأخذ كل يوم رمزاً أجنبياً لنضعه على لوحاتنا، أو مفردة أجنبية نستعملها في كلامنا، من أجل كونها أسهل في التعبير عن حاجاتنا اليومية، أو العلمية، فإننا بذلك نحفر قبراً للغتنا، بل إننا نحفر قبرا لهويتنا وشخصيتنا العربية. هذا الكلام ليس وعظياً إنشائياً، ولكنه كلام واقعي، فكم من اللغات اندثرت وأصبحت أثراً بعد عين بفعل تهاون أهلها بها، وتفريطهم في حقها وتركها نهباً للغات الأجنبية تعيث في رموزها ومفرداتها وتعبيراتها.

هذا من ناحية . . ومن ناحية أخرى فإن كثيراً من الحجج التي قيلت عن قصور الحرف العربي، أو الرقم العربي لا تنهض سبباً كافياً لتغيير أرقام لوحات السيارات والمركبات.

إن نقص أربعة رموز غير متشابهة يمكن أن يتدارك بشيء من البحث الجاد، والعمل العلمي الحثيث. هذا إلى جانب أن الرموز الأجنبية التي أوردها الدكتور، وتوهم فيها أنها لا تختلط أو

تتشابه ليست ـ في الواقع ـ بعيدة عن التشابه. فقد ذكر الدكتور في ملخص بحثه أن بعض النقط في الحرف العربي يمكن أن يزول عنها اللون الأسود فتفقد فائدتها، ولست أدري لماذا خُصّت اللغة العربية بهذا، فأصبحت الوحيدة التي تكون رموزها قابلة للمسح والزوال، وجعل اللغات الأخرى بمنجاة عن ذلك. إنّ الحروف الإفرنجية يمكن أيضاً أن تتشابه لو تآكلت أطرافها أو زال السواد عن بعض أجزائها، فتختلط بمثيلاتها كما في الرمز E وF إذ يمكن أن يزول السواد عن الركن الأسفل من E فتشبه الـ F. وكذلك في Q وO (إذا ما مسحت شرطة الـ Q) وI وJ وP وR (إذا ما مسح خط R الأيمن). إن حدود الممكن واسعة، ولا توضع القواعد على ما يمكن أن يحدث في الحالات الشاذة.

أما موضوع الرقم العربي فإنني استغرب كثيراً من (هرولة) كثير من الصحفيين والكتاب إلى الرقم الإفرنجي المعاصر، بحجة أن أصله عربي، وكأنهم لم يكتشفوا هذا النسب بينهم وبين هذا الرقم إلا أخيراً، فإذا هم يتعلقون به تعلق الغريق بالقشة، لا لكونه عربياً ولكن لكونه يلبس زي (الخواجه الأجنبي)، إن الحجة التي كثيراً ما يذكرونها هي أن الأجانب يسمونه «الرقم العربي» والواقع أنه رقم ذو أصل عربي، ولكن صورته الحاضرة ليست الصورة العربية، إنه رقم مغترب، حوره الإفرنج كي يناسب حروفهم، فأسبغوا عليه من روحهم، فبدا شبيهاً

بكتابتهم، معبراً عن ثقافتهم، مناسباً للكتابة من اليسار إلى اليمين. أما رقمنا العربي المستعمل بيننا فهو رقم يمتد تاريخه إلى بداية الاستعمال العربي للأرقام. وهو رقم يناسب كتابتنا وحروفنا العربية، وإذا فقدنا هذا الرقم فإننا سنقطع الصلة بيننا وبين ما كتب على مدى قرون التاريخ العربي الإسلامي. وليس من العقل أن نأخذ الرقم المغترب ونترك الرقم الأصيل.

أما موضوع الألفاظ التي تنتج عنها معان غير مستحبة فهي قضية فرعية، يمكن التغلب عليها من خلال حكمة القائمين على وضع الرموز، بل يمكن أن يتنبأ بها مسبقاً من خلال برنامج حاسوبي معد لهذا الغرض.

أما سفر المواطنين إلى الدول الأجنبية بسياراتهم، فعلاوة على أنه ليس كثيرا، ولا يُكَوِّن مشكلة كبيرة تجعلنا نتنازل عن أمر عظيم، مثل رموز لغتنا، فإن كثيراً من الدول تمنح السيارات الزائرة لوحات على الحدود للتجول بها مؤقتاً داخل البلاد، ولا أعتقد أن أحداً يطالب بلادنا بتغيير لوحاتها من أجل ذلك. ولا بد أن وزارة الداخلية على علم بالأعراف الدولية في هذا الشأن.

أما القول بأن في المملكة جالية أجنبية مقيمة، وأن الحجاج والمعتمرين يزورونا في مواسم معينة فهي حجة غريبة . . إذ أنني لم أر دولة من الدول تغير أنظمتها، أو طريقة تعاملها مع مواطنيها على أساس وجود أقلية طارئة في بلادها.

إن من مصلحة الأقلية الأجنبية أن تتعلم اللغة العربية، وأن تتعرف على الحرف العربي، والرقم العربي، بل إن من واجبنا أن نبث لغتنا بين أبناء هذه الجالية، لأن معرفتهم للغة ستجعلهم أقرب إلى ثقافتنا، مما سينعكس إيجابياً على مشاعرهم نحونا ويجعلهم متحمسين لقضايانا. ومن المعروف أن اللغة من أهم الوشائج التي تربط بين من يعرفها وبين البلاد التي تتحدثها. ولا أدل على ذلك من تكوين الروابط الدولية على أساس لغوي، مثل «الرابطة الفرانكفونية» التي تنتظم البلدان المتحدثة بالفرنسية، أو تلك التي تتصل بالثقافة الفرنسية بسبب في جميع أنحاء العالم. ولعل من النقد الشديد الموجه إلينا من قبل أفراد الأقليات الأجنبية في المملكة أنهم لا يكادون يشعرون بحاجة إلى تعلم العربية، بل إنهم يرغبون في معرفة العربية، ولكننا نصدهم عن ذلك بالحديث إليهم من خلال لغة أجنبية وسيطة. أو عبر لغة عربية مكسرة.

أما الحجاج والمعتمرون فهم مسلمون، يقرأون كتاب الله المنزل المكتوب بالعربية، ولا شك أنهم على معرفة بالحروف العربية والأرقام العربية . . وكثير منهم يكتبون بالخط العربي ويستعملون الرقم العربي، كما في إيران وباكستان.

فلست أرى صعوبة في تعرف مثل هؤلاء على رموز لوحات السيارات

إنني أحترم البحث العلمي . . وأعتقد أن الدكتور الحبوبي قد بذل جهداً طيباً، ولكني تمنيت لو أن الدكتور الفاضل وجه

بحثه لحل مشكلة الحرف العربي ـ إن كانت هناك مشكلة ـ وإيجاد بدائل من خلال اللغة العربية، يمكن بها التغلب على هذه المشكلات إن وجدت. لو فعل ذلك لكان قد أبدع، وأضاف وقدم فتحاً في عالم اللغة العربية، وإنجازاً تزهو به الحضارة العربية، أما أن يطبق ما قام به الأجانب في بلادهم، فلست أرى في ذلك جديداً. إذ أن الأسس التي استند إليها لا شك أنها قد طبقت لدى الآخرين (الذين يستعملون الحروف والأرقام الأفرنجية)، فلماذا يخترع العجلة من جديد؟ أما كان من الممكن أن يطلب النظم التي قامت بها إدارات المرور في أمريكا وأوربا (مثلاً) وأن يطبقها كما طبقوها، مع بعض التحوير المناسب لظروف المملكة ؟!.

وأخيراً . . إن ما قامت به وزارة الداخلية من تغيير لوحات السيارات لتكون عربية خالصة واضحة لا يشاركها فيه رمز أجنبي، لهو عمل وطني رائع يستحق الإشادة والشكر، وينم عن شعور حضاري راق. يؤكد على الهوية العربية الإسلامية لهذه البلاد، وينأى بها عن التبعية البغيضة، ويشعر الإنسان السعودي بالاعتزاز والفخر. وحبذا لو حذت جميع المؤسسات والمحلات التجارية حذو هذه الوزارة، فكتبت لوحاتها بلغة عربية سليمة لا يشاركها فيها لفظ أجنبي أو حرف أجنبي . . وهو ما جرت عليه العادة في البلاد المتقدمة، بل هو الجدير في بلد هو مهد العروبة والإسلام.

* الجزيرة، العدد ٩٧٧٥، الثلاثاء ٣ رجب ١٤٢٠هـ/ ١٢ أكتوبر ١٩٩٩م.